

سيادة العميد " ملوخية " ورفاقه الخمسة !

بقلم رائف محمد الويشي

28 أكتوبر 2016



في مركز تدريب الدفاع الجوي وفي ثمانينات القرن الماضي توقف بنا قطار الجيش بمنطقة دهشور ، كنا بحدود ألف من الجامعيين ، كانت مدة التأهيل هناك تمتد لأربعين يوما ..

أمرنا عريفوا الاستقبال (نوعية قذرة لا تعرف إلا سب الدين) بمجرد وصولنا أن نضع متاعنا (المخلة) بجانبنا ونقف بلا حركة ، امتدت الساعات في حرارة الشمس الحارقة ، خرجت دون استئذان من الصفوف ودخلت غرفة مجاورة لمحت صوتا يدخلها ودلت مشيته علي رجولته ، كان يدعي الصول هاشم ، لفحت شمس الصحراء لونه فجعلته برونزيا ، كان خمسينيا ، رفيعا ومحترما ، وفوق ذلك كان عفيف اليد واللسان وتبدو عليه ملامح المقاتل الشرس..

- يا فندم إحنا واقفين منذ ساعتين في حرارة الشمس ولا مجيب لنا والشاويشجية نازلين إهانة فينا!
- اسمك إيه يا عسكري؟!
- فلان يا فندم !

- إنت حكمدار الكتيبة دي من الآن وحتى نهاية مدة التدريب ، تطلع دلوقتي تنقل زملاءك إلي العنابر بصورة منظمة ، مفهوم؟!
- حاضر يا فندم !

بعد أيام أخبرني الصول هاشم أن سيادة العميد (قائد الموقع) سيكون في طابور الصباح لإلقاء كلمة في الكتيبة ، وشدد علي أن أبذل الجهد مع المجندين للظهور أمامه بمظهر حسن ، فوعده بذلك..

جاء سيادة العميد ، تواجد كل ضباط المركز ، كانت هناك حالة من الانضباط المفرط ، بدأ يلقي كلمته بالميكروفون ، كان يلقي جملة وينتظر عدة ثوان ، لقد تعدد هذا الأسلوب لزيادة جرعة الرهبة لدي الحاضرين ، يسمونها " الهيبة " ، ولا أراها إلا " خيبة " ..

قال العميد للمجندين : " جميع الأوامر التي تصدر لك من ضباط الجيش تكون واجبة التصديق والتنفيذ فورا ، مهما كانت غرابتها ، حتي لو قال لك الضابط أن نهر النيل قد أصبح ملوخية ! "

كنت أقف علي بعد عشرة أمتار علي يمينه ، كانت الكتيبة أمامنا علي شكل مستطيل ناقص ضلع ، لاحظت ضحكا محبوسا علي وجوه بعض الزملاء ، كان واضحا أنهم يبذلون جهدا للسيطرة علي أنفسهم ، لكن مغرفة العميد واصلت قذف الأعييرة !

أضاف العميد : " حتي لو أمرك الضابط بأن تقفز في هذه الملوخية ، لا بد أن تنفذ فورا ، مفيش عسكري يعتذر ويقول : أصل أنا يافندم عندي حساسية من التقلية ، عليك أن تقفز وفورا في نهر الملوخية ! " ..

فقد المجندون السيطرة علي أنفسهم ، لم يعد الأمر ضحكا محبوسا ، لقد أطلقوا العنان لأنفسهم ، تحول طابور الصباح إلي مسرح ! وتحولت الهيبة إلي خيبة طويلة المدى ومن عيار 155 كبشة (المحروس كان مدفعية)!

أنزل العميد عقابا علي الكتيبة بحرمانها من المغادرة في نهاية الأسبوع ، منحناه لقب " العميد ملوخية " منذ هذه اللحظة وحتى نهاية فترة التدريب ! بقي الصول هاشم من معالم المصري الأصل ويعرفه كل من خدم في دهشور ، اللهم ارحمه لو كان ميتا وانزله منازل الشهداء!

في تلك الفترة من زمن مصر كانت طشات الملوخية تتفاعل في مكان آخر داخل مصر ، في القصر الرئاسي !!

* لن أرحم أحدا يمد يده إلى المال العام حتى لو كان أقرب الأقرباء ، إنني لا أحب المناصب ولا أقبل الشللية وأكره الظلم ولا أقبل أن يظلم

أحد وأكره استغلال علاقات النسب (18 أكتوبر 1981 جريدة مايو) ..
* الكل سواء عندي أمام القانون ونحن لا نريد قانون الطوارئ (20 أكتوبر 1981 جريدة نيويورك تايمز) ..
* لن أقبل الوساطة وسأعاقب لصوص المال العام (26 أكتوبر 1981 مجلة أكتوبر) ..
* مصر ليست ضيعة لحاكمها (المصور 30 أكتوبر 1981) ..
* الكفن مالوش جيوب ، سنعلی من شأن الأیادي الطاهرة (خطاب له في فبراير 1982) ..

فاضت ملوخية القصر الرئاسي أرض مصر علي مدي عقود ثلاثة حتي أصابت شعبها بالإسهال المزمن ! أصبح هناك خط مائي مرسوما علي الأرض يسير خلفنا من جراء تساقط الملوخية من مؤخراتنا كمصريين (أموالنا المنهوبة)! فشلت كل الحيل في علاجه !

(ملاحظة : لمزيد من المعلومات ننوه إلي دراسة لنا في 9 يناير 2010 بعنوان " من فقه التوريت ، هل يستقيم الظل والعود أعوج ؟! " وأخري في 24 أبريل 2010 بعنوان " عناقيد آل مبارك وفتران السفينة " لكاتب المقال علي مدونته المذكور عنوانها أسفل المقال) ..

أمضيت تجنيدي في مقر الدفاع الجوي ، كان حلاق الوحدة صديقا لي ومحترفا في مهنته ، كان أيضا حلاقا لقائد الوحدة ، أخبني صديقي أن زوجة العقيد ترفع صوتها علي زوجها ، وذات مرة صرخت في وجهه لعدم إحضار أهله لمنزلها لأن وحدات مدرعة ومظلية كاملة من القمل والبراغيث تحتل المنزل بعد حضورهم وترفض الانسحاب إلا بعد إعلان الحرب الكيماوية بالمنزل !

لم أمض في خدمتي أكثر من أسبوعين ، أتى خبير تسليح أمريكي للمقر وتحدث لأمن البوابة ، كنت هناك ، تحدثت معه بإنجليزية أثنى عليها ، اصطحبني للترجمة مع العقيد باشا ، سليل عائلة القمل والبراغيث! خرجت من هناك فوجدت المجندين يقولون أن العسكري فلان هو جاسوس أمريكي مزروع في الجيش المصري ! أه يا بتوع الفجل!

ناداني محمد ، أقدم المجندين في أمن البوابة ، كان يحلو له أن يتقمص شخصية ضابط أمن ، تبقى لديه عدة أسابيع وينهى خدمته ، رغم حقه علي مجندي الجامعات ، إلا أنه أسدى لي واحدة من أكبر النصائح في حياتي :
- إسمع يا عسكري ! إنت شكلك كده مش هتعمّر هنا ! موضوعك انتشر بالوحدة وكل ضابط يخرج يسأل : فين العسكري الجاسوس؟! سيأتي غدا الضباط يأخذوك لتدريس أولادهم إنجليزي ، خلي بالك ! لو الضابط فلان طلبك ما ترحش!
- ليه؟!
- من غير ليه!
- طيب نورني يا جدع!
- بعد خروجي من الخدمة!

في عصر ذات اليوم جاء شاب زائرا ، كان جامعا وأنهى الخدمة ، همس محمد في أذني " أنت باين عليك أمك بتدعيلك!"
سألت : في إيه يا جماعة؟!

قال محمد للزائر : احكي للعسكري ده عن درس الإنجليزي بتاعك ؟
قال الزائر لي : لا تذهب للضابط فلان! هتروح لزوجته وما فيش عندها فرار من الخدمة ! أنا ما حدش نصحني ! لو دخلت بيتها هتغني " خلي السلاح صاحي" في الأسبوع الأول ! وبعدين "أموت أعيش ميهمنيث" في الأسبوع الثاني ! وبعدين "أروح لمين" بقية الخدمة ! عندها طاقة زى العربية الزل الروسي ! دى عايزه فصيلة مجندين ! لو رفضت يا حلو ستدخل السجن الحربي ! الباشا سايب ليها الحبل وهو هايص خارج المنزل !

في اليوم التالي جاء الضباط يتسابقون للفوز بالمدرس الملاكي ، حاجة ببلاش كده ! كان منهم الضابط الفلاني ، زوج العربية الزل ، كان قدري مع ضابط آخر ، كانت زوجته سيده محترمة وتصلي ، لكنه كان لصا يمص دماء الجنود الحرفيين! كانوا لا يأتون للوحدة في مقابل تسليمه أغلب ما يكسبون ، حتى لو لم يعملوا ، كان عليهم أن يدفعوا له ! كان علي أن أتنازل له عن مرتبي بالجيش مع ما أقدم من دروس لأطفاله ، أصبحت بذلك من المجندين من منازلهم ، دون أن أدفع شيئا لأحد !

كانت حالة العسكري مصطفى تختلف عن حالتي ، فهو من أقرباء مدير أمن السلاح ، سيادة اللواء فلان ، كان مصطفى يأتي فقط لزيارتنا والجلوس معنا خلال أسبوعين قضيتهما بالجيش ، شكوت له عما يفعله الضباط من مص دماء العساكر ! استحلفته بالله أن يبلغ مدير أمن السلاح بما يحدث ، قفزت فرحا عندما قال لي أن اللواء فلان ، سيأتي لمنزلهم للغداء ..

جاءني مصطفى بالخبر ، كنت على ثقة أن اللواء سيتخذ قرارا بوقف تلك المهزلة ، كان مصطفى يتميز بأذنين كبيرين ، عندما شاهدته من بعيد فرحت ، لكنه – على غير عادته - كان كلما اقترب منى كبرت أذناه أمام عيني ! على بعد أمتار قليلة كانت ملامح " الوكسة " تبدو عليه ، تلامست الأيدي ، أصبحت أذنا مصطفى تشبهني أذني فيل إفريقي غاضب ، كانت إشارة غير سارة رصدها رادار قلبي..

- إيه يا مصطفى ، عملت إي ه؟!!
- سيادة اللواء قضى عندنا وقتنا جميلا ..
- طيب ماشى يا مصطفى ، وبعدين؟ !
- بابا أخبره لأنني كنت مكسوبا منه ..
- طيب ماشى يا مصطفى ، وبعدين؟!!
- سيادة اللواء قال لبابا " لو الضابط معملش كده مش هيعرف يعيش " .. ياعم إنت مالك ، انت ماشى بعد أيام على درس الإنجليزي..
- طيب العساكر الغلابة دى يا مصطفى ؟ !
- ليهم رب اسمه كريم !

مرت العقود ، ثم جاد الزمان علي مصر ، مجموعة جديدة من طشات الملوخية في طراز واحد ! ذاتي الدفع ومتعدد المراحل ، لم يسبق لمصر أن عرفت هذا الطراز بهذه التحويجة! غطت طشاته بدخانها أركان الكوكب الأزرق فجعلته رماديا واختفى لونه الأصلي! قيمة ومنظر ووظيفة ميري! جعل رقابنا طول الشمروخ في كل مكان ينزل فيه! طبيب بين الفلاسفة ، وفيلسوف بين الأطباء! غطاس ماهر ، يخرج اللؤلؤ والمرجان من فمه كلما تحدث! عاش حيا علي الماء فقط لعشر سنين ، طراز لهلوية يعمل بالوقود السائل ! طاف الدنيا من أجل مصر ، فوجد قوما يتعلمون فقط وجمدوا كل حياتهم! عرّج علي آخرين فوجدهم لا يشكون بل فقط حاضر ونعم! اقترح علي شعبه المريض في غرفة الإنعاش أن يحفر له ترعة لزيادة دخله فغرق شعبه بها! وهب له المحسنون المليارات لشراء الدواء والطعام لشعبه فاشترى حاملات ضفادع ورافال لمقاومة الناموس والذباب! فعلت ملوخية أستاذة بمؤخرات المصريين فعلتها ، أما هو ، فالله وحده يعلم بنتائج طشاته !!

رائف محمد الويشى

سانت لويس – ميزورى – أمريكا

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته